

التجربة النقدية لدى عبد السلام المسدي

The critical experience of Abdul Salam Al-Masdi

يوسف نغماري *

جامعة الشلف- الجزائر

negmariyoucef@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2017-05-17 تاريخ القبول: 2020-05-19

ملخص

انطلاقاً من أنّ لكل ناقد خطابه الخاص المتمثل في مفاهيمه، أو في ما يمارسه من هيمنة ضمن حقوله الإنتاجية، توقفنا في هذه الدراسة عند الخطاب النقدي عند عبد السلام المسدي، لنحدّد مفاهيمه وإجراءاته المنهجية بغية الوصول إلى الخصوصية التي يميّز بها هذا الخطاب النقدي، وكذلك بإبراز المواقف والرؤى والجهود النقدية التي شغلت عبد السلام المسدي معظم سنين نشاطه النقدي. الكلمات المفتاحية: الأسلوب، الأسلوبية، النقد، الخطاب، الحداثة.

Abstract

starting with the fact that every critic has their own speech that represents their concepts or the control he possesses within his productive fields where the present study has stopped by the critical speech of Abd El Salem ALMSUDAI to determine his notions and methodological procedures in order to get to the privacy that distinguishes this speech. Besides, to accentuate the critical positions, visions, and efforts that preoccupied most of Abd El Salem ALMSUDAI's years during his critical activity and through his pursuit of theoretical foundation as part of performing.

Keywords: style, stylistics, criticism, speech, modernism.

1- الأسلوبية والأسلوب لدى عبد السلام المسدي:

* المؤلف المراسل.

لقد حاول عبد السلام المسدي في كتابه الأسلوبية والأسلوب أن يبسط مشروعاً طموحاً لوضع التحليل الأسلي في موقع مُتقدِّم في الفعالية النقدية العربية، والعنوان الفرعي للكتاب (نحو بديل أسلي في نقد الأدب) له دلالتة في هذا الميدان، فالكتاب لا يخلو من ملامح منهجية شخصية كان لها أثرها في تجربة الناقد التطبيقية في مجال النقد الأدبي عموماً، والتحليل الأسلي بشكل خاص، فالمسدي لم يُحاول التقليل من الفعالية النقدية لحساب تضخيم دور الفعالية الأسلوبية، بل فعل العكس تماماً محاولاً أن يعطي للأسلوبية حجمها الحقيقي، ونفى أن تُؤوّل إلى نظرية نقدية شاملة لكل أبعاد الظاهرة الأدبية، فضلاً عن أن تطمح إلى نقض النقد الأدبي أصولياً².

فالمسدي أعلن عن ميلاد الأسلوبية بوصفها علماً جديداً وحديثاً في الوقت ذاته يختص بدراسة الأسلوب، وقد دعا إلى ضرورة الضبط المعرفي لأركانه بهدف فصل حدوده وتثبيت الفواصل العلمية لتلك الحدود مع العلوم الأخرى المجاورة.

فبالأسلوبية بحسب رأيه: "نظرية علمية نشأت بفضل تلاقي علوم اللسان مع النقد الأدبي، وقد انفصلت في مباحث خاصة عن اللسانيات واستقلّت، كذلك، عن النقد الأدبي، وهي تتصف بالموضوعية في المعالجة والابتكار لتصوراتها النظرية، وهي بحسب رأيه بديل عن البلاغة الموروثة مستقل بأسسه المعرفية وموضوعاته المنهجية"³.

و ذلك يعني أنّ مشروعه الأسلي يقوم على وضع الأسس المعرفية لهذه النظرية.

فالكتاب تضمن معظم معطيات النظرية الأسلوبية وإطارها الفكري في النقد الحديث متبعاً "نشأتها وتطوّرها وملزمها المعرفي عن البلاغة واللسانيات والنقد الحديث، فضلاً عن إيضاح أهمية البحث الأسلي ومدركاته العلمية في التعريف بالمفاهيم والمصطلحات التي تخضع لترسيمته العلمية"⁴. ومما له أهمية في هذا المجال أنّ الناقد لم يحاول أن يتبنى منهجاً أسلوبياً جاهزاً من تلك المناهج التي عرض لها، والتي صنّفها ضمن ثلاثة اتجاهات:

مصادرة المخاطب.

مصادرة المخاطب.

مصادرة الخطاب.

² ينظر: ثامر، فاضل (1994)، اللغة الثانية- في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث- المركز الثقافي العربي، ط1، ص:92.

³ بدري الحربي، فرحان (2003)، الأسلوبية في النقد العربي الحديث- دراسة في تحليل الخطاب- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، ص:124.

⁴ بدري الحربي، فرحان (2003)، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص:144.

بل قدّم تصوّراً لا يخلو من "الانتقائية والتوفيقية دعا فيه إلى الأخذ بكل هذه الاتجاهات وعدم إهمال أي منها لأنها تؤدي إلى دراسة شمولية للظاهرة الإبداعية، وقد عبر عن رأيه ذلك قائلاً: ولعل أوفق السبل إلى نظرية شمولية أن تنتبه إلى أنّ النظرية النقدية الأدبية تجسّم تقاطع ظواهر ثلاث حضور الإنسان- مؤلفاً كان أو مستهلكاً أو ناقداً- وحضور الكلام، فحضور الفن"⁵.

يُمثّل الكتاب "خطوة هامة في نقل النظريات اللغوية الحديثة إلى القارئ العربي نقلَ المتفقه فيها، فهو لا يكتفي بالرواية بل يتجاوزها إلى النقد والتقييم"⁶، فتقديم الأستاذ عبد القادر المهيري لهذا الكتاب يُنبئ عن رصانة علمية، ومنهجية موضوعية، فاللغة التي قُدِّم بها الكتاب تجنح إلى الدقّة المنطقية بعيداً عن الانفعال أو التعصّب إلى الباحث أو الكتاب.

ويؤكّد هذا الرأي قول محي الدين صبيحي: "يتميّز كتاب الباحث الألسني التونسي عبد السلام المسدي، بالجدة والدقة والوضوح، وبشيء من الشمول المقترن بالتركيز والاختصار، كل هذا يتساق مع ضبط في اللغة نادر المثل، وتماسك في التفكير والتعبير يعز نظيره في موضوع مستحدث كالأسلوبية"⁷.

بهذه الصورة يقدّم محي الدين هذا الكتاب ثم يستعرض متنه، وما اشتملت عليه فصوله من آراء ومعلومات، ويخلص بعد العرض إلى المناقشة فيرى أنّ مشكلة المثقفين العرب الذين يقدمون إلى الثقافة العربية مذاهب أوروبية معاصرة أنهم يقدمونها بصورة مطلقة، أي خالية من نقد خصوصها واعتراضاتهم، مما يجعل هذه المذاهب تبدو كأنها وحدها في مجالها، هكذا جرى الحال مع البنيوية التي لم يبق من يكتب بها الآن، مع أنّ الجميع تباروا في استعراضها، وأخشى أن يكون الأمر كذلك إذ تفتش استعمال الأسلوبية وأصبح درجة (موضحة) 1982 مثلاً!⁸

والواقع أنّ ما يذهب إليه محي الدين صبيحي في بدء مناقشته فيه ضرب من التعميم في الحكم على كلّ من نقل إلى العربية مذهباً فكرياً، وقد قال الباحث بالمذاهب ولم يقل بالعلوم تحزراً من استعمال المصطلح وبخاصة وهو يتحدث عن علم أو منهج علمي في تحليل الظاهرة الأدبية، واعتراضه على تقديم هذه المذاهب أو المعارف بصورة مطلقة خالية من نقد خصوصها واعتراضاتهم يدل على أنّ الباحث يستعجل نقل رأي الخصوم، وهذا في اعتقادنا لا يستقيم في مؤلف يعرف بحقل معرفي ويؤسس له ويحاول طرقه من جميع أبوابه، فإذا ما ضمّنه رأي الخصوم على حدّ تعبير محي الدين، فإنّ ذلك يكون مدعاة إلى

⁵- ثامر، فاضل (1994)، اللغة الثانية، ص:92.

⁶- المسدي، عبد السلام (2006)، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط5، ص:12.

⁷- صبيحي، محي الدين (1984)، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د ط)، ص:193.

⁸- ينظر: المرجع نفسه، ص:205.

عدم الإكتراث أو الاهتمام بالحقل المعرفي وتحصيله والتمكن منه، كما قد يكون ذلك سلاحاً في يد الكسالى فيأخذون بالرأي المعارض ويتركون البحث في حقيقة المذهب أو المنهج أو الميدان المعرفي توفيراً للجهد من عناء البحث عن الحقيقة، ولا أعتقد أنّ الباحث يرمي إلى هذا⁹.

يقول محي الدين "المشكلة الثانية أنّ الباحث العربي، برغم كلّ إخلاصه للمذهب الذي ينقله، لا يُعنى بتأصيله في الفكر العربي، مما يعطي الانطباع بجدة المذهب وفقدان أصوله الأولى في موروثه العربي"¹⁰. وهذا لم يتعرّض إليه عبد السلام المسدي في كتابه الأسلوبية والأسلوب، وأثاره في مواطن أخرى منها بعض مقالاته في هذا الشأن: "مع الجاحظ: البيان والتبيين" بين منهج التأليف ومقاييس الأسلوب، ومقاله: (مع ابن خلدون: الأسس الاختيارية في نظرية المعرفة من خلال المقدمة)، ونرجّح عدم اطلاع محي الدين على انجاز عبد السلام في هذا المجال هو الذي كان وراء ما ذهب إليه¹¹.

2- النقد والحدائثة لدى عبد السلام المسدي:

اقترن اسم المسدي عند الدارسين بمشروع الدراسات الأسلوبية؛ إذ يعدّه النقاد من الأوائل الذين عرفوا القارئ العربي الأسلوبية منهجاً نقدياً وبالرغم من اشتغاله بحقل اللسانيات، كما يتضح من خلال مؤلفاته، إلا أنّ الرجل كان ممن شغلهم هم النص- بحكم موقعه كلساني- فوجد نفسه مولعاً بمدارسة النصوص الأدبية، في محاولة لمدّ الجسور بين اللسانيات والأدب، وفي ذلك يقول المسدي: "وقد يعيد التاريخ نفسه فيكون للسانيات فضل إنقاذ النقد من بعض ملابسات الانحسار في اللغة بعد أن كان لها فضل إنارة السبيل أمام النقاد لتبصرهم بمداخل اللغة إلى النص الأدبي"¹².

1-2- الحدائثة النقدية:

منذ أن وفدت الحدائثة الغربية إلى البيئة العربية في مشاريع النقاد، والباحثون عاكفون على تتبع معالمها، فيها هو عبد السلام المسدي، كغيره من النقاد يحاول أن يضع يده على الحيرة التي يعانها النقد العربي المعاصر في ظل بروز مصطلحي الحدائثة والمعاصرة، تُرى هل هي حيرة نابعة من القلق الفكري الذي يبحث عن أسلوب لمواكبة هذا الذي جدّ، أم إنها لا تعدو أن تكون مجرد انبهار واندهاش؟ "الحدائثة والمعاصرة توأمان يتجاذبان الفكر العلماني الحديث...ولئن تمثل الفكر الغربي هذين التوأمين منذ أحقاب حتى صُهرها في بوتقة تاريخيته، فإن المنظور العربي لا يزال يتصارع

⁹ ينظر: السد، نور الدين (1997)، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي "الأسلوبية والأسلوب" - دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، ج 1، ص: 32.

¹⁰ - صبحي، محي الدين (1984)، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، ص: 205.

¹¹ - المرجع السابق، ج 1، ص: 32.

¹² - المسدي، عبد السلام (1994)، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، (د ط)، ص: 46.

وإيهما؛ لذلك ولغيره كانت القضية أشد ملابسة بالعرب في تحسّسهم سبل المناهج المستحدثة وأبعد تعلقاً بمشاغل اتصالهم بغيرهم وانفصالهم عنه¹³.

هذا الانبهار وهذه الدهشة جعلت من الدراسات النقدية العربية حبيسة الرؤية الغربية، أخذة عنه، ويعود السبب - يضيف المسدي - لافتقارهما لبعدين:

- بعد نقدي.

- بعد معرفي.

" فأما البعد النقدي فيفسره غلبة المناحي المذهبية في التيارات النقدية الحديثة، وهي ظاهرة يخصب بها الإفراز العقائدي وتشل بها الرؤية الفردية الواضحة... أما انعدام البعد المعرفي فلا مرد له إلا الحواجز القائمة بين مصادر التفكير عند العرب ولا سيما المحدثين منهم، وأكبر حاجز أثم كاد يطغى على تاريخ الفكر العربي هو ذلك الذي قام بين الفلسفة والنقد الأدبي حتى إننا لا نكاد نعي وجود (إيستمية) للأدب وللنقد، بل وللفلسفة المناهج نفسها، فقصر بذلك (النظر المعرفي) فكان لزاماً أن ترجح كفة الأخذ على كفة العطاء"¹⁴.

تبدو النزعة العلمية - منذ البداية - السمة المميّزة للنقد الذي وجّهه المسدي للنقد العربي؛ فغياب المعطى المعرفي في الفكر العربي، والذي به يتم تأسيس منظومة معرفية يكون عملها هو التأسيس المصطلحي للأدب، ولعلّ غياب هذا المعطى كان لسبب غياب الوعي النقدي، نظراً لسيطرة الآراء المذهبية التي تحبس المفاهيم في زاوية التعصب والخصومات، والتصدي لكل محاولة تجديد خارج هذا الإطار، أمام هذا الفقر المنهجي وغياب الوعي النقدي، كان مُنتظراً أن يغيب العطاء ويبقى النقل عن الغرب الوسيلة الوحيدة¹⁵.

ومما تجدر الإشارة إليه، هو التضارب وسوء الفهم في تحديد مفهوم الحدائثة أدّى إلى الغموض والإلغاز في هذا الخطاب، ويتمثل في الغموض المصاحب لها وعلته مغالاة من أحد وجهين: إما غياب الملفوظ، وإما فرط حضور الدال، فالأول نعترضه ساعة نقراً الإبداع أو نتناول الخطاب النقدي حوله دون أن يبرئ لنا صاحبه منفذ الولوج إلى ما يستهدفه من الحدائث. والثاني يصادفنا

¹³- المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص:19.

¹⁴- المرجع نفسه، ص:20.

¹⁵- ينظر: بارة، عبد الغني (2005)، إشكالية تأصيل الحدائثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في

الأصول المعرفية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص:226،227.

لم يعد صاحب النص - الأدبي أو النقدي - إلى استدراجنا لحدائته فيغرق النص حديثاً عن الحدائثة دون أن يمهلنا ما به نساهم في إدراك مقصوده من الحدائثة¹⁶.

أمام هذا الغياب والمبالغة في الحضور - يضيف المسدي - " تتراكم سجوف بين المتلقي والمقاصد فيغدو الكلام ضبابياً وينشأ الغموض الذي هو غموض عاقر إذ من أصناف الغموض ما يكون مخصصاً عندما تجرّ المتقيل جرّاً نحو استخلاص ملكاته الإدراكية في غير ارتكان ولا توان"¹⁷. وقد لاحظ محمود الربيعي وهو يعرض لكتاب المسدي (النقد والحدائثة) الغموض في لغة الناقد، إذ كشف مدى الغموض الذي أصاب لغة النقد، والذي يعود في رأيه إلى مغالاة أنصار الحدائثة من بنيويين وأسلوبيين في استخدام مصطلحات غامضة مكدسة داخل النصوص، حتى غدت لغة النقد - والحال هذه - ضرباً من الرياضة العقلية، وعالماً مقفلاً في وجه كل قارئ لدراسات هؤلاء النقاد، يقول الربيعي: "وتعج الصفحات بما يسميه المؤلف (مصطلحات) من مثل: (الجهاز المرجعي)، و(التضافر الأسلوبي)، كما تعج بالرموز والجداول، ولكننا إذا نخلنا المجهود المتراكم حصلنا على فوائد محدودة"¹⁸.

وهذا عدنان حسين قاسم يعيب على المسدي لغة الغموض التي يتصف بها خطابه النقدي، إذ يقول: "وعلى الرغم من أني أكبر الدور الذي اضطلع به الدكتور المسدي وغيره من الرواد المغاربة في صدورهم عن أصول الاتجاه الأسلوبي البنيوي، فإن تأثيرهم في حركة النقد العربي المعاصر كان من المفترض أن تكون أكبر بكثير، لأن هذه اللغة التي استخدموها وقفت حاجزاً حجب بين القارئ العربي وفهم تلك الأصول"¹⁹.

لكن، ألا يكون غياب الوعي بما حصل في منظومة النقد المعاصر، هو الذي جعل هذين الناقلين يتحاملان على المسدي، ناعتين لغته بالغموض والضبابية، فلو انتبهنا إلى ما حصل من صلات بين اللسانيات والنقد في إطار علمنة هذا الأخير، لجعله أكثر صرامة وموضوعية عما كان عليه من ذي قبل، لما كان لهما هذا الوصف، لذا فمن الطبيعي أن يجد القارئ مصطلحات من حقل

¹⁶ - المرجع نفسه، ص ص: 228، 229.

¹⁷ - المسدي، عبد السلام (1983)، النقد والحدائثة - مع دليل بيبليوغرافي - دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، ص: 11.

¹⁸ - بارة، عبد الغني (2005)، إشكالية تأصيل الحدائثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص ص: 229، 230.

¹⁹ - المرجع نفسه، ص: 230.

اللسانيات موظفة في الدراسات النقدية، وهي - فيما يحسب الباحث - التي أبدى الناقدان، وغيرهما من النقاد، حولها تعجبا ونفورا.²⁰

وهو موقف يُحسب عليهم لا لهم، إذ ليس من المعقول أن يُطلب من الناقد مواكبة الجديد، والاستعانة بحقل اللسانيات لمقاربة النصوص الأدبية دون أن يقبل استخدام المنظومة الاصطلاحية التي تتكى عليها اللسانيات، وقد تولى المسدي نفسه الرد والإيضاح، إذ يقول: "فتعمد الحديث في أي فن معرفي بتحاشي أدواته الاصطلاحية يمثل ضربا من التشويه لا يتغاضى عنه إلا عند مراعاة السياق الأعم"²¹.

ثم يضيف في السياق نفسه، قائلا: "ومن أعظم الاعتراضات الزائفة التي نصادفها اليوم ومن أشدها غرابة إذا أوردها أهل الذكر من الذين يحترفون النقد أن يعزو بعضهم استغراق الخطاب النقدي عليه إلى عُسر مصطلحاته ظانا أن لو كان الأداء الاصطلاحي على غير ما هو عليه لأمكنه أن يدرك كل العلم الذي حملته اللغة له، وترى البعض قد انبرى مجاهرا يرمي الخطاب النقدي بالإلغاز مشهرا بما ظنه إغلاقا في المصطلح، وطاعنا من لا يواسي أمره بتقديم مادة العلم بعد ترك جهازه المصطلحي، وهي الإحالة المحض"²².

على هذا الأساس، فما كان يروم المسدي قوله عن غموض الخطاب الحدائي، لا يتعلق إلا بمبالغة البعض في رصف المصطلحات داخل النصوص قصد مفاجأة القارئ، وجعله بعيدا عن حقيقة الضعف المستتر وراء هذه الكلمات. أما الحدائفة التي يدعو إليها، فهي تلك التي يجدد من خلالها الناقد مضمون المقولات التي يصدر عنها، وكذا طريقة الصياغة التي بها تغدو تلك المقولات نقدا نوعيا، فيه من الأدبية ما يجعله يحقق الذي يرجى نشدانه، وهو وصول الخطاب النقدي إلى ذروة سنم الحدائفة.²³

2-2- مبدأ التضافر في قصيدة (وُلد الهدى) لأحمد شوقي:

تتضح لنا بشكل جلي في هذه الدراسة شخصية الناقد الأسلوب الحدائي، فالمنطلقات المنهجية في الدراسة نصّانية أولا وقبل كل شيء، وهي لا تكتفي بالوقوف عند مناطق الصوغ

²⁰- ينظر: المرجع نفسه، ص: 230.

²¹- المسدي، عبد السلام (1994)، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، (د ط)، ص: 11.

²²- المرجع نفسه، ص: 12.

²³- ينظر: بارة، عبد الغني (2005)، إشكالية تأصيل الحدائفة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص: 231.

الأسلوبية المضبوطة، بل تسعى للكشف عن أدبية النص الشعري أو (شعريته) وبيان دلالة (الانزياحات) الإيقاعية والمعجمية والصرفية والتركييبية في سيرورة الرؤيا الشعرية²⁴.

ولقد بدا الناقد وكأنه يحاول أن يتجنب إعادة إنتاج المناهج الجاهزة، وذلك بمحاولته توليف منهج شخصي يمهّد له نظريا في مستهل دراسته هذه، ويترح له خلال ذلك بعض المصطلحات الشخصية التي يبتكرها أو يحملها دلالات نقدية متجددة²⁵.

فتجربة المسدي في تحليل قصيدة أحمد شوقي، هي أقرب ما تكون إلى استلها (الرسالة) الشعرية ذاتها، وهو في هذا يقف إلى جانب جاكبسون Jakobson في استنكاه مقومات أدبية أو شعرية الرسالة الشعرية، إلا أنّ المسدي من جهة ثانية لا يقتصر فقط على استنكاه تشكيلات الصوغ الشعري على مستوى (الكلام)- في فرادته- وإنما يتعداه إلى استقراء ما هو جوهرى على مستوى (اللغة) في شمولها ونمطيتها ومعياريتها²⁶.

ويظهر اجتهاد الباحث في تعامله النقدي مع كل من اتجاهي الأسلوبية التطبيقية: اتجاه أسلوبية الوقائع، واتجاه أسلوبية الظواهر، اللتين اتهمهما بالقصور عن إدراك الظاهرة الأسلوبية ككل، مما يحدث بينهما وبين الأسلوبية النظرية فجوة وقطيعة.

وقد دفعه هذا التعامل النقدي مع الأسلوبيتين أنفتي الذكر إلى اقتراح أسلوبية وسط جامعة بينهما سماها (أسلوبية النماذج)، وهي الطريق التي تجمع بين دراسة الحدث الفردي في النص، أي الواقعة الفنية في حقلها الضيق، وبين اكتشاف الظاهرة الفنية من خلال المثال الذي يجسّمها في الأثر الفني الواردة فيه، وفي ضوء هذا الاجتهاد نظر إلى قصيدة شوقي (وُلد الهدى). ومن المميزات الأخرى التي طبعت أسلوبية المسدي مرونته في التعامل مع النص المدروس؛ حيث استند فيه إلى البلاغة العربية مدعومة بالنحو في دراسته لقصيدة (وُلد الهدى).

ويمكن اعتبار تجربة المسدي في تحليل قصيدة أحمد شوقي تجربة متقدمة في حقل التحليل الأسلوبية والنقدي، استطاعت أن تتجاوز الكثير من عناصر الضعف والتخلف في مقاربات الناقد السابقة، مع ابتكار وتوليد العديد من المصطلحات الأسلوبية والنقدية الجديدة التي تمتلك

²⁴- ينظر: ثامر، فاضل، اللغة الثانية، ص: 96.

²⁵- ينظر: المرجع نفسه، ص: 96.

²⁶- ينظر: المرجع نفسه، ص: 99.

هنا- وللمرة الأولى- دلالات اصطلاحية ونقدية جديدة، وتظل هذه المحاولة، على الرغم من كل المآخذ التي قد تُسجّل عليها تجربة رائدة ومتقدّمة في حقل الأسلوبية العربية الحديثة²⁷.

3- قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون:

1-3- مع الشابي:

على الرغم من تأكيد المسدي لبعض ملامح منهجه النقدي في دراسته عن الشابي (مع الشابي- بين المقول الشعري والملفوظ النفسي-)، وإشارته إلى أنّ مطمح البحث أنّ يقرأ شعر الشابي قراءة تشق سجوف ما تراكم فلا تأخذ من خارج النص إلا بمقدار، وأوله المعطى التاريخي، إلا أنّ الناقد، في حقيقة الأمر، يولي اهتماماً غير قليل للمرجع التاريخي، والاجتماعي، والنفسي، والخارجي²⁸. فهو يستهل بحثه بمقدمة عن حياة الشاعر وبيئته وسقوطه من الناحية النفسية أسير حالة تمزق نفسي داخلي، حتى ليبدو لنا الناقد منطلقاً من مصادرة معينة قبلية، تتنافى ومنهج الاستقراء الذي يتضح في بعض تحليلاته الأسلوبية اللاحقة²⁹.

وهكذا بدا الناقد وكأنه يحاول توكيد مجموعة من الافتراضات النظرية المسبقة التي صادر عليها، ومنها أنّ (المقول الشعري) للشابي هو صدّي لحالة التمزق النفسي عنده، فبعد أن يستخلص الناقد بعض الخصائص والملامح النفسية والشخصية للشاعر يقول صراحة بأنّ " هذه الخصائص قد انعكست - والتعبير للناقد- على شعر الشابي فجاءت به أدبا خالصا بقلقه، صادقاً بحيرته، عنوانه الطبع الأصيل ووجهته نحت ما في الذات الموجعة"³⁰، حتى وكأنه يريد أن يطبّق مقولة بيفون من أنّ الأسلوب هو الرجل، أو يؤكّد المقولة الرومانسية في التعبير³¹.

ويكاد التحليل النقدي أن يتحوّل "إلى تحليل نفسي لولا استدراك الناقد لذلك وإشارته إلى أنّ ما يرمي إليه الناقد أنّ يقيّم الأثر الفني على نصاب الملفوظ المصاغ، وما المعطيات التاريخية إلا سند من الأسانيد يضمحل وقعها ما لم تقع في النص الملفوظ شهادة لها، وأقوى الشهادات تناسج المقول الإنشائي بالإفضاء النفسي"³².

²⁷- ينظر: ثامر، فاضل، اللغة الثانية، ص:98.

²⁸- ينظر: المسدي، عبد السلام، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، ص:13.

²⁹- ينظر: المرجع السابق، ص:93.

³⁰- المسدي، عبد السلام، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، ص:17، 18.

³¹- ينظر: ثامر، فاضل، اللغة الثانية، ص:93.

³²- المرجع نفسه، ص:18.

ويعكف الناقد على دراسة قصيدة (أبها الحب) للشابي بشيء من التفصيل في محاولة للكشف عما يسميه بـ "ثمرة امتزاج المقوم اللغوي بالمقوم النفسي فتتمثل في تناسج كل من البنية والحركة داخل صياغتها"³³، ويتخذ التحليل النقدي منحى أسلوبيا وبلاغيا لاستغوار البنية الشعرية ومكوناتها المختلفة، باتكاء واضح على التحليل اللساني في أبعاده الصوتية والتركيبية والصرفية والمعجمية، " فالناقد لا يولي اهتماما كافيا لفحص واستقراء البنية الصوتية والإيقاعية والوزنية للقصيدة- على غرار ما يفعل جاكبسون Jakopson و شتراوس في دراسة قصيدة القطط لبودلير، أو على غرار ما يفعل كمال أبو ديب في معظم تحليلاته - بل يكاد يكفي بانتقاء العناصر الصوتية والنغمية الخارجية، فهو يشير إلى التقفية ولكنه يتجاهل الوزن والتغيرات الداخلية في التفاعيل أو في الموسيقى الداخلية للقصيدة، لكنه من جهة أخرى يولي اهتماما كبيرا لبعض مستويات التحليل البلاغي للصوت والمتمثلة في العناية ببعض مظاهر الجناس الصوتي"³⁴.

فبعد أن ينتهي الناقد من تفكيك بنية القصيدة يحاول إعادة ربط لوحاتها ومفاصلها الأساسية بإماطة اللثام عن التوازي بين "حركة (الإفضاء النفسي) من جهة و(المبثوث اللغوي) من جهة ثانية، ومحاولة المسدي هنا، على ما فيها من بعض نواقص ومآخذ، محاولة رائدة وذكية"³⁵.

2-3- مع المتنبي:

فالمسدي في هذه الدراسة المعنونة بـ (مع المتنبي: بين الأبنية اللغوية والمقومات الشخصية) يميل إلى التعميم والانتقاء، فهو لم يعكف على تقديم دراسة تطبيقية محدّدة من قصائد المتنبي- كما فعل في دراسة الشابي- وإنما تحرك بحرية أكبر، وما يربط الدراستين ميلهما لاستنكاه المقومات النفسية وبيان مستوى انعكاسها أو تشكّلها شعريا، والناقد يعترف في التمهيد الذي مهّد به لبحثه هذه الحقيقة عندما يعلن أنّ من أوفق السبل ما يعين عالم اللسان في قراءة شعر المتنبي أن يستلهم كلاً من علم النفس الأدبي وعلم النفس اللغوي"³⁶.

يخلص الناقد إلى فرضية قبليّة يصادر فيها على تقييرين:³⁷

- أولهما أنّ شخصية المتنبي اصطدامية يتجاوزها قطبان متباينان إيجابا وسلبا.

³³- المرجع نفسه، ص:21.

³⁴- ثامر، فاضل، اللغة الثانية، ص:94.

³⁵- المرجع نفسه، ص:94.

³⁶- ينظر: المسدي، عبد السلام (1984)، قراءات مع الشابي والمنتني والجاحظ وابن خلدون، نشر الشركة التونسية

للتوزيع، تونس، (د ط)، ص:68.

³⁷- ينظر: المرجع نفسه، ص:95.

- وثانيهما أنّ صراع القوى الشخصية عند الشاعر قد تفجر في علاقات تقابلية على الصعيد اللغوي، مما أدّى إلى بروز شبكة من الروابط الثنائية دلالية ونغميا في الوقت نفسه.

ويخلص بعد ذلك إلى استنتاج أولي يرى فيه أنّ " اللفظ لدى المتنبي يستحيل تمردا على الحقيقة القائمة، ممّا ينزّل الطموح عنده منزل المركّب النفساني"³⁸.

ثم يعكف على توكيد فرضياته التي صادر عليها، فيلاحظ أنّ ثنائية التعارض عند المتنبي التي تجسّمت في روابطه الحياتية الخارجية قد تمثّلت في زوجين متعاقبين:

- الزوج الأول: هو بمثابة ثنائية تكاملية: المتنبي- سيف الدولة.
- الزوج الثاني: يشكّل ثنائية تصادمية: المتنبي- كافور.

ويختزل الناقد تجربة المتنبي إلى هذين الزوجين من الثنائيات فقط، وهو حكم يضيق إلى حدّ كبير من شمولية الرؤيا الشعرية عند المتنبي واتساعها، إلا أنّ الناقد يحاول أن ينفذ بحثه هذا بالانتقال إلى مرحلة أخرى مهمة تركز على المعادلات اللغوية لهذه الثنائية، فهو يرى أنّ " هذا التركيب الثنائي الطاغي على المضامين الشعرية قد وُلد نزعته إلى التركيب الثنائي على المستوى اللغوي، سواء في حقل الدلالات، الفردية منها والتجمعية، أو في حق النغمات الإيقاعية"³⁹.

ولذا يتخذ التحليل منحنى جديدا يفيد من مستويات التحليل اللساني والأسلوبي، كما يُعنى بشكل خاص بالكشف عن ازدواج العناصر ثنائيا- ازدواج تضاد في شكل ثنائيات ضدية أو ازدواج تطابق، ويسعى المسدي " لتوسيع مفهوم الازدواج هنا، فلا يقصره على الحقول الدلالية بل يوسعه ليشمل بعض مستويات التشكيل الصوتي والعريقي، ويستقرئ مظهرا مهما من مظاهر التركيب الثنائي يتمثل في ظاهرة تفاعل العناصر الجزئية إيجابا وسلبا"⁴⁰ وصورة ذلك- كما يرى أنّ " البيت الشعري عند المتنبي كثيرا ما يشحن متناقضات فيشدت ضغطها بما يولد شحنة نهائية هي إما إقرار لمبسوط أو نقض لمفروض"⁴¹.

وبعد أنّ ينتهي من تحليلاته الأسلوبية التي عقد فيها موازنة بين شخصية المتنبي الاصطدامية وامتلاكه لمركب علوّ مدفون في اللاوعي من جهة، وبين العلاقات التقابلية على الصعيد اللغوي في شعر المتنبي، يعود المسدي ليفحص ثنائية افتراضاته التي صادر عليها في المقدمة

³⁸- المرجع نفسه، ص: 95.

³⁹- المسدي، عبد السلام (1984)، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، ص: 87.

⁴⁰- ثامر، فاضل، اللغة الثانية، ص: 94.

⁴¹- المرجع السابق، ص: 87.

بقوله: "تلك نماذج من التركيب الثنائي في بناء شعر المتنبي ولدها - حسب ما صادرننا عليه - التركيب التقابلي في المضامين المجسدة خارج الشعر والمضمنة إياه"⁴².

وبعد كل ما تقدّم يمكن أن نخلص إلى القول أنّ تجربة الناقد عبد السلام المسدي هي تجربة خصبة ومتطورة، وتومئ إلى إمكانية الانفتاح مستقبلا على آفاق متجددة في مجال معاينة النص الأدبي أسلوبيا ونقديا.

4- التحليل الأسلوبي لدى عبد السلام المسدي:

1- أقسام الأسلوبية:

يرى عبد السلام المسدي في كتابه (النقد والحدائث) أنّ الأسلوبية سلكت في نُموّها سبيلين متوازيين وهما:⁴³

1-1- الأسلوبية التطبيقية: التي تعتمد الاستقراء الذي يرسى قواعد ممارسة النصوص.

2-1- الأسلوبية النظرية: التي تعتمد الاستنباط الذي سوى أسس التجريد والتعميم.

ويبيّن أنّ وجهات النظر في الأسلوبية التطبيقية هي من الكثرة بحيث يكاد يكون لكل دارس اتجاهه الخاص، و"لكنها تتلخص - كما بدا لنا من استقراء إجمالي - في منهجين كبيرين"⁴⁴، وهما:
أ- أسلوبية التحليل الأصغر / أسلوبية السياق / أسلوبية الوقائع:

ففي أسلوبية التحليل الأصغر (أسلوبية السياق) يعمد أصحابها إلى الوقوف على كل حدث تأثري يعرض إليهم في تتبعهم النص الأدبي - شعرا كان أو نثرا - فيفصّلون القول في مقوماته بحثا عن السمات التي حوّلت مادته اللغوية إلى واقعة أسلوبية، فيكون التحليل أخذا بأطراف البنى المكوّنة للسياق الإبداعي: من الصوتية والمقطعية والتركيبية والدلالية.

وهذه الأسلوبية التي مجالها الحدث الفردي في النص، ومناطقها الواقعة الفنية في حقلها الضيق "يتسنى لنا - فضلا عمّا أسميناه به علما - أن نسمّيها أسلوبية الوقائع"⁴⁵.

ب- أسلوبية التحليل الأكبر / أسلوبية الأثر / أسلوبية الظواهر:

أما أسلوبية السياق الأكبر (أسلوبية الأثر) فتتمثل في "الإقدام دفعة واحدة على الأثر الأدبي المتكامل سعيا إلى استكناه خصائصه الأسلوبية فيأتي البحث حركة دائمة بين استقراء واستنتاج: ينطلق الشرح حيناً من الوقائع اللغوية لربطها بزمام موحد هو القالب الأسلوبي الضابط لسماتها، ثم ينطلق أحيانا

⁴²- المرجع نفسه، ص: 92.

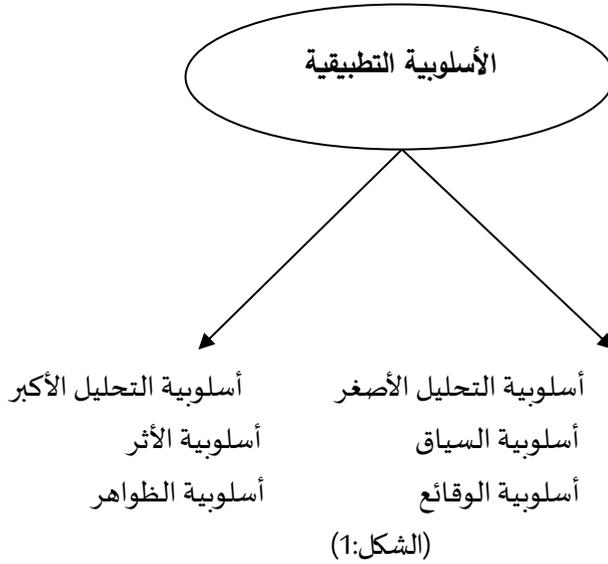
⁴³- المسدي، عبد السلام، النقد والحدائث، ص: 66، 67.

⁴⁴- المرجع نفسه، ص: 67.

⁴⁵- المسدي، عبد السلام، النقد والحدائث، ص: 71.

أخرى من الخاصية التي يستشفها الباحث فينعطف بها على أطراف النص المترامية استقصاء لما يدعّمها بعد تمحيصها عن طريق تحليل مشخّصاتها، وفي هذا المضمار يتوارد الإحصاء والمقارنات العددية وضبط التواترات المميزة⁴⁶.

وتحرص هذه الأسلوبية على اكتشاف الظاهرة الفنية من خلال المثال الذي يجسّمها في الأثر الواردة فيه، لذلك يُستساغ أن نسميها أيضا أسلوبية الظواهر.⁴⁷ (ينظر الشكل:1)



وبعد أن يعترف المسدي بالمأزق الذي وقعت فيه الأسلوبيتان التطبيقيتان من حيث عدم إمدادهما الأسلوبية النظرية بما تستطيع به تحقيق هدفها المنشود و هو تفسير أدبية الخطاب الإبداعي بالاعتماد على مكوّناته اللغوية... وتحديد هوية الأسلوب الأدبي وهو ما به يسهمون مع رواد النقد النظري في تحديد أدبية الأدب⁴⁸.

يخلص المسدي من ذلك كله إلى صوغ منهج شخصي يطلق عليه اسم (أسلوبية النماذج)؛ وتندرج - هي الأخرى - تحت راية الأسلوبية التطبيقية، وتقوم بين طرفي الأسلوبيتين التطبيقيتين المتقدمتين، "وبين هذه وتلك مجال لتصور نمط جديد تحت مجال الأسلوبية التطبيقية، إذ يمثل

⁴⁶- المرجع نفسه، ص: 68.

⁴⁷- ينظر: المرجع نفسه، ص: 71.

⁴⁸- ينظر: المسدي، عبد السلام، النقد والحداثة، ص: 69.

لقواعد العمل الميداني، ولكنه يسعى إلى إدراك محور الدوران بين الجزء والكل، فيصطنع جسرا من التواصل يفيد فيه الشرح النصي قواعد التأسيس النظري"⁴⁹.

ويضيف قائلا: "وإذ قد بان أن مرامنا هو كشف النموذج الأسلوبي من خلال النموذج النصاني فلنسنمها (أسلوبية النماذج) حيث تقوم معدّلا تطبيقيا بين أسلوبية الوقائع وأسلوبية الظواهر، فتكون بذلك (أسلوبية النص) مثلما كانت الأخرى (أسلوبية السياق) و(أسلوبية الأثر)، وستكفل إمداد جهاز الأسلوبية النظرية بمكتسبات مدققة يستخلص منها روادها مقومات الثبات وحوافز التعديل وستعين المنظرين على تجميع النماذج الإبداعية فيستكهنون حقائق الإبداع ويمسكون بزمام أدبية الخطاب الفني عسى أن يقبضوا يوما على أعنة أدبية الأدب بإطلاق"⁵⁰.

2- مبدأ التضافر:

1-2- مفهومه:

و يعني " أن تنتظم العناصر انتظاما مخصوصا يسمح باستكشافها طبق معايير مختلفة بحيث كلما تنوعت مقاييس الاستكشاف حافظت العناصر على مبدأ التداخل"⁵¹، والذي تُترجمه اللغة الصورية الآتية:

معيار كشف 1: (أب+أ'ب) × (بج+ب'ج').

معيار كشف 2: (صص+سس'ص') + (صع+ص'ع').

معيار كشف 3: (ع+د'ع'د) × (دو+د'و').

ومفهوم التضافر عند عبد السلام المسدي "قريب إلى حدٍ ما من مفهوم النظم عند

الجرجاني"⁵².

2-2- أنماط التضافر:⁵³

1-2-2- نمط التفاصيل:

وهو الذي تأتي الخصائص بموجبه متميزة تتباين في مواطنها على السلسلة الأدائية في ضرب من التخالف الموضوعي فتراها في مجملها سمات متميزة في طبيعتها، متفصلة في انتظامها حتى

⁴⁹- المرجع نفسه، ص: 27، 71.

⁵⁰- المرجع نفسه، ص: 72، 73.

⁵¹- المرجع نفسه، ص: 74.

⁵²- ثامر، فاضل، اللغة الثانية، ص: 97.

⁵³- المرجع السابق، ص: 73، 74.

لكأتمها سلسلة من العناصر الجبرية تأتي في معادلة متعددة المجاهيل على نمط تعاقبي شكله:

$$أ \times ب \times ج \times د \dots$$

2-2-2- نمط التداخل:

وفيه تتوارد الأجزاء في تواتر دوري بحيث يمتزج البعض ببعض الكل الآخر فلا يعيد لك السياق صورة مطابقة لما ورد في السياق الذي قبله، ولكنه يعيد لك منها ما يمزجه مع مكونات جديدة فيحصل من المعاد ومن المستجد تركيب يلتجئ بالسياق العام عن طريق البعض المتواتر وينفصم عنه مستقلا بذاته بفضل الجزء المستحدث، وهكذا لو حوّلت الظاهرة إلى تشكيل صوري لحصلت على معادلة جبرية إطارها الرمزي:

$$(أ + ب + ج + د) \times (د + ب + أ + ج).$$

2-2-3- نمط التراكم:

وهو أن يتوزع المجموع إلى كتل ترتصف فيما الأجزاء ارتصافا متناظرا تتقابل فيه الصور تقابلا متتاليا، فيكون بين مستويات الأبنية اللغوية المكرسة إبداعيا تنضيد متآلف كما لو أنه مدعن للمعادلة المتتالية:

$$(أ + ب + ج) \times (ب + ج + أ) \times (ج + أ + ب).$$

2-3-3- معايير التضافر:

يوظف عبد السلام المسدي أربعة معايير استكشافية لاستكشاف ظاهرة التضافر في قصيدة (وُلد الهدى لأحمد شوقي) وهي:⁵⁴

1-3-2- معيار المفاصل:

ويُقصد به تشابك مواطن الانتقال من شحنة إخبارية إلى أخرى.

2-3-2- معيار المضامين:

وهي الظاهرة المقابلة التي تُعطي مبدأ التضافر أبعاده الإبداعية-كما يرى المسدي- وهي ظاهرة التصاهر، فلو أنك أخذت الجهاز الدلالي الذي تقوم عليه القصيدة برمتها وفككته إلى مركباته، لا من حيث هي عناصر متجزئة ولكن من حيث هي هويات نوعية، لبان لك أنّ الخطاب الشعري-كل الخطاب- محاوره ثلاثة: المرسل، الرسالة، المرسل إليه، فهو يرى "أنّ للمضمون

⁵⁴- المسدي، عبد السلام، النقد والحداثة، ص: 75، 82.

الشعري دلالة، وأنّ لكل دلالة مرجعا مفهوميا، غير أنّ المرجع المفهومي يكتسب مضمونا هو غير المضمون الشعري"⁵⁵.

2-3-3- معيار القنوات:

ويُعني به مجاري الأداء الإبلاغي مما يتخذه الشاعر مرتكزا حواريا يصطنع به التواصل حيث لا تواصل، ويرى المسدي أنّ "في الشعر العربي صوراً شتى لهذا التلاصق بين جهاز من التواصل في واقع الأداء اللغوي- كما في المدح أو الهجاء - وجهاز من التحاور في واقع الاصطناع الشعري- كما في النسب والوجد والمناجاة - ومن هذا الصنيع محاوراة الخليلين والصاحب والديار وليلى..."⁵⁶.

2-3-4 معيار البنى النحوية:

يخصّص المسدي هذا المعيار لفحص مفاصل التضافر على مستوى البنى النحوية والتركيبية. حيث درس مظاهر التوازي النحوي والتركيب، وأنواع الجُمَل، ويرى بأنّ "مبدأ القول بالنماذج يراودنا حتى لا نكاد نجزم بأنّ إبداعية أي نص أدبي لا يفسّرُها إلا الاهتداء إلى النموذج الأسلوبى الثاوي وراء بنيته الصياغية، والذي يُستصَفى من خلال مراتب البناء بدءاً بالأصوات والمقاطع والألفاظ، وختماً بالمضامين الدلالية بعد المرور بالتركيب النحوية المتعاقدة"⁵⁷.

3- مبدأ التضافر في قصيدة (وُلد الهدى) لأحمد شوقي:

في بداية الدراسة التطبيقية لهمزية شوقي في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم، يذكر المسدي أن الاستقراء الأولي لأنماط الصوغ الإبداعي قد أوقفه على جملة من النماذج التركيبية التي تنتظم وفقها مكوّنات الأسلوب، وكانت هذه النماذج -كُلّاً في موضعه- من التواتر والتحكم بحيث يغدو الواحد منها كالمفتاح الذي لا يتسنى للأسلوبى الولوج إلى مظان النص إلاّ به، غير أنّ "استكشافنا لقصيدة أمير الشعراء: (وُلد الهدى) قد أوقفنا على نمط جديد من انتظام البنى المحدّدة للفعل الإبداعي أطلقنا عليه مصطلح (التضافر)"⁵⁸.

بعد ذلك يكشف الباحث عن ذلك التضافر من خلال أربعة معايير استكشافية وهي:

معيار المفاصل، والمضامين، والقنوات، والبنى النحوية.

أ- تضافر المفاصل:

⁵⁵- المرجع نفسه، ص:76.

⁵⁶- المسدي، عبد السلام، النقد والحدّاة، ص:78.

⁵⁷- المسدي، عبد السلام، النقد والحدّاة، ص:99.

⁵⁸- المرجع نفسه، ص:73.

فالقصيدية احتوت على مائة وواحد وثلاثين بيتا تدور- لبدائى النظر- على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن تركيبها قد جاءت في شكل مثنى فيه ثماني مجموعات دلالية تترابط بسبعة مفاصل (ينظر: النقد والحدائث، ص، 75).

ب- تضافر المضامين:

وأما تضافر المضامين- أو تصاهاها- فتُعطي مبدأ التضافر أبعاده الإبداعية، فالمسدي يرى أن " الجهاز الدلالي الذي تقوم عليه القصيدة برمتها وفككته إلى مركباته، لا من حيث هي عناصر متجزئة ولكن من حيث هي هويات نوعية، لبان أن الخطاب الشعري- كل الخطاب- محاوره ثلاثة: دلالات تتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأخرى بدينه- الإسلام-، وثالثة بأتمته- المسلمين-"⁵⁹. ويجسّد الباحث ذلك عمليا فيصبح ما يتصل بالرسول (محمد صلى الله عليه وسلم) يمثّل طرف المرسل، وما يتصل بالدين الإسلامي يجسم الرسالة، وأما ما يتصل بالأمة الإسلامية فيقوم مقام المرسل إليه.

ج- تضافر القنوات:

يرى المسدي أن " لقنوات التصريف الأدائي ميزة نوعية في قصيدة (ولد الهدى) وهذه الميزة من الطرفية، بحيث تجسّم التضافر الذي هو بصده"⁶⁰، ويكشف الباحث عن أنواع من هاته القنوات، أهمها: الضمائر (هو- أنت)، وتشاكل الأصوات، والسلك الدلالي الرابطة.

غير أن التضافر ها هنا ليس مطلقا، إذ يستثني الباحث أحد المقاطع (93-113) لأنه شذ عن القاعدة معللا ذلك " بأن صياغته اللغوية قد جاءت من نسيج خاص مغاير لنمط الصوغ السائد في بقية القصيدة المطوّلة، والسر في ذلك أن شوقياً قد عطف على أطراف الجهاد بمغازيه الإسلامية صور الحرب والفروسية كما رسمتها ريشة أيام العرب، وحفظتها مطولات الشعر الجاهلي، فجاء هذا مثنيا على ذلك في تعانق إيحائي يجر الظاهرة الأسلوبية إلى بلوغ تمامها معنى ومبنى"⁶¹.

د- تضافر البنى النحوية:

يبرز الباحث مظاهر التضافر التركيبي في الأبيات (من 30 إلى 43) القائمة على أسلوب الشرط، أنها جاءت نموذجا على قالب نحوي متناسق متخالف في نفس الوقت، ذلك أنها:⁶²

❖ قد انبنت كلها على قالب الجملة التلازمية مما يعرف في علم التركيب بالجمل ذات الشقين.

⁵⁹- المرجع نفسه ، ص:76.

⁶⁰- المسدي، عبد السلام، النقد والحدائث، ص:78.

⁶¹- المرجع نفسه، ص:86.

⁶²- المرجع نفسه، ص:91، 92.

- ❖ ثم إنَّ تلازمها قد كان من التلازم الشرطي المتمخض لمعنى الظرف.
 - ❖ كلها تستند إلى أداة الارتباط (إذا).
 - ❖ وليس واحد من هذه الأبيات الأربعة عشر إلا وهو مستهمل بحرف عطف نسقي هو (الواو).
 - ❖ فإذا ولجنا إلى صميم التركيب (الشَّرطي- الظرفي) أَلفينا الشقَّ الأول منه- وهو الذي يُعرف في مصطلحات النحو بجملة الشرط- قائما في جميع الأبيات (43-30) على فعل ماض مسند إلى ضمير المخاطب المتصل وهو (التاء).
- فهذه مواطن الانسجام النحوي إلى حدِّ التطابق التركيبي، "ولكن الطريف المعجب، مما لا يدع شكًّا في هذه الظاهرة الغريبة- نعني تضافر الأبنية في تعانق الاختلاف مع الانسجام- أنَّ الشقَّ الثاني من الجمل التلازمية، مما يُعرف في النحو العربي بجملة جواب الشرط أو الظرف، قد جاء في الأبيات الأربعة عشر مختلفا في بنيته اختلافا مطلقا، إذ ليس واحد من الأبيات بمماثل في تركيبته النحوية الوظائفية لبيت آخر إذا ما وازنا بينهما من حيث بنية جواب الشرط الظرفي"⁶³.
- وينتهي المسدي مقارنته التحليلية القيمة لمطولة شوقي بسرد الخلاصات التي توصل إليها بقوله: "لقد رأينا كيف انبنت قصيدة (ولد الهدى) على نموذج أسلوب مداره ظاهرة التضافر: التي تحققت في المفاصل والمضامين، وأجريت في القنوات الأدائية، ثم تشكلت في البناء التركيبي، فجاء النص نسيجا لحمته الانتلاف، وسداه الاختلاف، فلا التكتيف بمفض إلى الإشباع ولا الإطراد ببالغ حد الرتبة، فإذا بالتضافر صورة للتعهد في صلب الوحدة وإذا به مفتاح تنكشف به إبداعية الشعر في إحدى اللوحات الروائع التي خطتها ريشة أمير الشعر"⁶⁴.
- وبالنظر إلى الدراسة التطبيقية فإنه يمكن رصد بعض مميزات التحليل الأسلوبية عند عبد السلام المسدي، وأول هذه المميزات (التوفيقية)؛ فالمسدي يذكر- منذ البداية- أنه قد عاد إلى عدة مراجع أوروبية، أخذا من كلِّ طرفا، غير أنه لم يقتصر على تلقِّي ساذج للأسلوبية، وتوفيق بسيط بين أهم اتجاهاتها ومراجعها، وإنما اجتهد محاولا بصم دراسته الأسلوبية ببصمته الخاصة، محاولا تأصيل أسلوبية عربية حديثة وفق المنجز من الدرس الأسلوبية الغربي الحديث وذلك عن طريق عقد أواصر القربى بين الدرس الغربي الأسلوبية والدرس العربي.

⁶³- المرجع السابق، ص:92.

⁶⁴- المسدي، عبد السلام، النقد والحداثة، ص:100.99.

ويظهر اجتهاد الباحث في تعامله النقدي مع كل من اتجاهي الأسلوبية التطبيقية: اتجاه أسلوبية الوقائع، واتجاه أسلوبية الظواهر، اللتين اتهمهما بالقصور عن إدراك الظاهرة الأسلوبية ككل، مما يُحدث بينهما وبين الأسلوبية النظرية فجوة وقطيعة.

وقد دفعه هذا التعامل النقدي مع الأسلوبيتين آنفتي الذكر إلى اقتراح أسلوبية وسط جامعة بينهما سماها (أسلوبية النماذج)، وهي الطريق التي تجمع بين دراسة الحدث الفردي في النص، أي الواقعة الفنية في حقلها الضيق، وبين اكتشاف الظاهرة الفنية من خلال المثال الذي يجسّمها في الأثر الفني الواردة فيه، وفي ضوء هذا الاجتهاد نظر إلى قصيدة شوقي (ولد الهدى). ومن المميزات الأخرى التي طبعت أسلوبية المسدي مرونته في التعامل مع النص المدرّوس؛ حيث استند فيه إلى البلاغة العربية مدعومة بالنحو في دراسته لقصيدة (ولد الهدى).

خاتمة: سنوجز في هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي:

- 1- محاولة عبد السلام المسدي الكشف المعرفي عن أصول علم الأسلوب وخصائص تركيبته لا من حيث معالمة ضمن تطوره التاريخي، وإنّما في بنيته الآتية كما تتجلّى لنا اليوم في الحقل العربي.
- 2- محاولة عبد السلام المسدي تأصيل أسلوبية عربية حديثة وفق المنجز من الدرس الأسلوبوي الغربي الحديث وذلك عن طريق عقد أواصر القربى بين الدرس الأسلوبوي الغربي والدرس الأسلوبوي العربي.
- 3- تحذير عبد السلام المسدي من ضياع الهوية العلمية للأسلوبية في مغبة المعارف المحاذية (اللسانيات، فقه اللغة، تحليل الخطاب، البلاغة، النقد الأدبي...).
- 4- من المميزات التي طبعت أسلوبية المسدي مرونته في التعامل مع النص المدرّوس.
- 5- نفي المسدي أن تؤول الأسلوبية إلى نظرية نقدية شاملة.
- 6- اجتهاد عبد السلام المسدي لتقديم رؤية نقدية للمصطلح النقدي الوافد من الغرب، إذ لا تخلو دراسة من دراساته إلا وهي مذيلة بقائمة من المصطلحات الأجنبية مع ما يقابلها في اللغة العربية، وإنّ وجد أنّ القضية تتعدّى الترجمة إلى التعليق على المصطلح، لا يتردد في القيام بذلك، حتى أصبح مرجعا في ترجمة المصطلح.

المصادر والمراجع:

1. بارة، عبد الغني (2005)، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
2. بدري الحربي، فرحان (2003)، الأسلوبية في النقد العربي الحديث- دراسة في تحليل الخطاب- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1
3. ثامر، فاضل (1994)، اللغة الثانية- في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث- المركز الثقافي العربي، ط1.
4. السد، نور الدين (1997)، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي " الأسلوبية والأسلوب "- دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)،
5. صبحي، محي الدين (1984)، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د ط)،
6. المسدي، عبد السلام (1994)، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، (د ط)
7. المسدي، عبد السلام (1983)، النقد والحداثة- مع دليل بليوغرافي- دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1،
8. المسدي، عبد السلام (1994)، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، (د ط)
9. المسدي، عبد السلام (1984)، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس،